أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك والحكمة فيما فعلته
ومن ذلك قوله في سورة التوبة أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وفي سورة الممتحنة واغفر لنا
ربنا إنك أنت العزيز الحكيم وفي غافر ربنا وأدخلهم جنات عدن إلى قوله إنك أنت العزيز الحكيم وفي
النور ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فإن بادي الرأي يقتضي تواب رحيم لأن الرحمة
مناسبة للتوبة لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهي الستر عن هذه الفاحشة
العظيمة ومن خفي ذلك أيضا قوله في سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى
إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم وفي آل عمران قل إن تخفوا ما في صدوركم
أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير فإن المتبادر
إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة وفي آية آل عمران الختم بالعلم والجواب أن آية البقرة
لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق
السماوات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله
كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ناسب ختمها بصفة العلم وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد
على موالاة الكفار وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ناسب ختمها
بالقدرة ومن ذلك قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما
غفورا فالختم بالحلم والمغفرة عقيب تسبيح الأشياء غير ظاهر في بادي الرأي وذكر من حكمته أنه لما كانت الأشياء
كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ختم به مراعاة للمقدر في الآية وهو العصيان كما جاء
في الحديث لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا وقيل التقدير حليما عن تفريط
المسبحين غفورا لذنوبهم وقيل حليما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بإهمالهم النظر في
العبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه التنبيه الثالث في الفواصل ما لا نظير
له في القرآن كقوله عقب الأمر بالغض في سورة النور إن الله خبير بما يصنعون وقوله عقب الأمر بالدعاء
والاستجابة لعلهم يرشدون وقيل فيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقيب ذكر رمضان أي لعلهم
يرشدون إلى معرفتها وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية وتسمى أيضا رد
العجز على الصدر وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام الأول أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو
أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا والثاني أن يوافق أول كلمة منه نحو وهب لنا
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب قال إني لعملكم من القالين والثالث أن يوافق بعض كلماته نحو ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلا قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا إلى قوله وقد خاب من افترى فقلت استغفروا ربكم إنه
كان غفارا وأما التوشيح فهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية والفرق بينه وبين التصدير أن هذا
دلالته معنوية وذلك لفظية كقوله تعالى إن الله اصطفى آدم الآية فإن اصطفى لا يدل على أن الفاصلة
العالمين باللفظ لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون
مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون وكقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار الآية

قال

قال ابن أبي الإصبع فإن من كان حافظا لهذه السورة متفطنا إلى أن مقاطع
آيها النون وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة مظلمون لأن من انسلخ النهار
عن ليله أظلم أي دخل في الظلمة ولذلك سمي توشيحا لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل
المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما
الوشاح وأما الإيغال فسيأتي في نوع الإطناب فصل قسم البديعيون السجع ومثله
الفواصل إلى أقسام مطرف ومتواز ومرصع ومتوازن ومتماثل فالمطرف أن تختلف الفاصلتان في
الوزن وتتفقا في حروف السجع نحو ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا والمتوازي أن يتفقا
وزنا وتقفية ولم يكن ما في الأولى مقابلا لما في الثانية في الوزن والتقفية نحو فيها سرر
مرفوعة وأكواب موضوعة والمتوازن أن يتفقا في الوزن دون التقفية نحو ونمارق مصفوفة وزرابي
مبثوثة والمرصع أن يتفقا وزنا وتقفية ويكون ما في الأولى مقابلا لما في الثانية كذلك نحو إن إلينا
إيابهم ثم إن علينا حسابهم إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم والمتماثل أن يتساويا في الوزن
دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة
إلى المتوازي نحو وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فالكتاب والصراط
متوازنان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا في الحرف الأخير فصل بقي نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل
أحدهما التشريع وسماه ابن أبي الإصبع التوأم وأصله أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان
العروض فإذا أسقط منهما جزءا أو جزأين صار الباقي بيتا من وزن آخر ثم زعم قوم اختصاصه به وقال
آخرون بل يكون في النثر بأن يبني على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاما مفيدا
وإن ألحقت به السجعة الثانية كان في التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ
قال ابن أبي الإصبع وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن فإن آياتها لو اقتصر فيها على أولى
الفاصلتين دون فبأي آلاء ربكما تكذبان لكان تاما مفيدا وقد كمل بالثانية فأفاد معنى زائدا من التقرير
والتوبيخ قلت التمثيل غير مطابق والأولى أن يمثل بالآيات التي في أثنائها ما يصلح أن يكون فاصلة كقوله
تعالى لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأشباه ذلك الثاني الاستلزام
ويسمى لزوم ما لا يلزم وهو أن يلتزم في الشعر أو النثر حرف أو حرفان فصاعدا قبل الروي بشرط عدم الكلفة
مثال التزام حرف فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر التزم الهاء قبل الراء ومثله ألم نشرح لك صدرك الآيات
التزم فيها الراء قبل الكاف فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس التزم فيها النون المشددة قبل السين
والليل وما وسق والقمر إذا اتسق ومثال التزام حرفين والطور وكتاب مسطور ما أنت بنعمة ربك
بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون بلغت التراقي وقيل من راق ومثال التزام ثلاثة أحرف تذكروا
فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون تنبيهات الأول قال أهل البديع
أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه نحو في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود ويليه ما طالت قرينته
الثانية نحو والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى أو الثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه
ثم في سلسلة الآية وقال ابن الأثير الأحسن في الثانية المساواة وإلا فأطول قليلا وفي الثالثة أن تكون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)